أزمة الحداثة: من منظور النظرية النقدية والحداثة السائلة[▽]

The crisis of modernity from the perspective of critical theory and liquid modernity

م. د سماح نجم كاظم *
Samah Najm Kazim

الملخص

بدأت الحداثة الغربية بالقرن (18) قطيعة مع الماضي والسلطة الدينية والبديل هو العقل يقود بتقدمه وعقلانيته إلى التقدم والتحرر والحرية والعدالة والحقوق ، بيد أنَ منذ مطلع القرن (20) بدأت أزمة الحداثة فانتج التقدم التقني والعلمي الحروب والرعب النووي والشمولية واستلاب العقل ، مما ولد افكار ما بعد الحداثة وتعدَ النظرية النقدية أحد تياراته قدم نقداً للحداثة وشموليتها والعقل الإداتي ، وقدمت لذلك معالجات : العقلانية التواصلية لـ(هابرماس)، والبعد الجمالي ، أما (باومان) قسم الحداثة إلى الحداثة الصلبة والسائلة ، ترسم واقع ومجتمع سائل مندمج مع العولمة وانتاجها الفردية والمجتمع الاستهلاكي وضعف السيادة ، لتشكل صورة لمستقبل لا يمكن التكهن بكوارثه يتعذر بها رسم صورة لمستقبل سعيد .

الكلمات المفتاحية : الحداثة ، ما بعد الحداثة ، النظرية النقدية ، الحداثة السائلة .

ADSTRACT :

Western modernity that began in the 18th century embodied a break with the past and religious authority. The alternative is the mind that leads its progress and rationality to progress, liberation, and freedom, but since the beginning of the 20th century began the crisis produced technical and scientific progress wars and nuclear horror and usurpation of the mind , which generated ideas of postmodernism and critical theory is one of its currents presented a critique of modernity and comprehensiveness and the mind, and provided treatments: rationality communicative(Habermas), and the aesthetic dimension, As for (Baumann) the division of modernity into solid and liquid modernity, draws a reality and a liquid society integrated with its negatives with globalisation and its individual production, to form a picture of a future that cannot be predicted by its disasters that cannot draw a picture of a happy future.

▽ تاريخ التقديم : 2023/7/12 تاريخ القبول: 2023/8/20 تاريخ النشر : 2023/9/31

* جامعة النهرين– كلية العلوم السياسية – قسم النظم السياسية samah.najm@nahrainuniv.edu.iq

Keywords: modernity, postmodernism, critical theory, liquid modernity.

المقدمة :

تعدَ الحداثة وازمتها المحور الرئيس لفكر ما بعد الحداثة ، انشطرت حول معالجتها إلى تيارين رئيسين الأول تطويري للحداثة فلا يؤمن بزوالها وعدها مشروع لم يستنفذ بعد ، وتأتي النظرية النقدية الممثلة للمدرسة الالمانية والنشأة ببيئة النظام النازي وشموليته الممثل الابرز لهذا التيار، محددة اشكالية الحداثة بإشكالية العقل منطلقة من مشروع التنوير فهو جوهر فكر الحداثة مبينة الأنعطافة السلبية للعقل الجدلي/ التحرري الى العقل الأداتي المسلوب من قدرة التأمل نتاج لأليات النظام الصناعي الرأسمالي ، عقل عدَ اساس إنتاج النظم الشمولية لا العكس ، ولإرتباط التحرر بالنقد كان لابد من ارجاع القدرة النقدية والتأملية للعقل ومن هنا كانت المعالجات والتي عدت اهم نقاط الاختلاف بين النظرية النقدية والحداثة السائلة ، وذلك للتنظير النقدي المقدم من (باومان) فأنَ اجتمعا على نقد النظم المتقدمة وعدم إنتاج التقدم التحرر بل الحروب العالمين والمحارق والهولوكوست ونقد الثقافة الاستهلاكية بيد أنَ التحرر المرتبط بالعقل والذي قدمت لأجله النظرية النقدية تحليلها غابت عن الحداثة السائلة .

اهمية البحث : تأتي أهمية الدراسة من كشفه خفايا المجتمعات الصناعية المتقدمة ولعل دولة الرفاه الرأسمالية بمقدمتها ، واسطورة التقدم الصناعي وما تولد عنه بمنظور بعض المفكرين من حربين عالميتين والرعب النووي والتهديد بنهاية العالم المنعكس بنهابة الإنسانية وتفككها ومجالها الأيكولوجي ، بالإضافة لكشف العنف اللامرئي الكامن بالمراقبة السائلة ومجتمع ما بعد البانوبتيكون والأنان المستباح ، معالجات من شأنها ان تضعنا بصلب ازمة الحداثة الغربية والمعالجات الممكنة.

إشكالية البحث : تنطلق الإشكالية من الانقسام حول مستقبل الحداثة فهي مشروع لم ينفذ وامكانية تحرير طاقتها التقدمية ممكنة وهذا ما تمثله النظرية النقدية ، في حين الحداثة والمستقبل السعيد والتقدم لم ينتج إلا كارثة تنتهي بها البشرية فالعالم اليوم يمتلك كل الوسائل للانتحار الجماعي بالحداثة السائلة ولم يبقى إلا حلول قد تصيب لحل مشكلات مستقبلية ، وهذا يطرح طبيعة العلاقة بين المتنظمين .

فرضية البحث : تنطلق فرضية من جملة مفادها " أنَ الحداثة بوصفها التنبؤ بمستقبل يتجه بشكل حتمي للتقدم والرفاه اضحى يوتوبيا ، والأصح معالجات آنية تحتمل الصواب والخطأ لمشكلات مجهولة ".

هيكلية الدراسة : قسمت هيكلية الدراسة إلى ثلاثة محاور رئيسة خصصت لدراسة الحداثة وازمتها والمشروع السياسي ما بعد الحداثي ، لتتضمن النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت عبر ابرز ممثليها كـ(ادورنو، وهوركهايمر، وهابرماس)، والحداثة السائلة لـ(زيجمونت باومان) .

أولاً : من الحداثة إلى ما بعد الحداثة: دراسة نظرية

سيرورة فكرية طويلة شكلت بأفكارها وتغيراتها الافكار السياسية الممتدة من القرن (18)وفكر الحداثة بالقرن العشرين حيث نقد الحداثة والتشكيك بمشروعها، وهذا ما سنبينه بالمبحث الآتي .

1- المشروع السياسي لفكر الحداثة الغربية

ثمة شبه أجماع لارتباط الحداثة بالتنوير التي ترتكز على الذاتية فالأنسان مركز الكون وسيده ، وأنَه لا يحتاج إلا إلى عقله لتكوين المعرفة ، مؤسساً بذلك مركزية الذات والعقل [1]، كما وترتبط الحداثة السياسية بعصر النهضة فيعدَ أهم جذورها ومصدر فكرها ، وتحديداً مفهوم العقلنة فيعدَ اهم مقومات الحداثة السياسية وتتمثل ابرز مستوياته بالآتي : [2]

أ. **عقلنة الفكر العلمي** : تتمثل بأحداث قطيعة عن التصورات الايديولوجية والدينية والسياسية لتأسيس معرفة علمية مصدرها العقل ، عقلنة اسسها (ديكارت) وسبقه (غاليلي ، كوبرنيك) .

ب. **عقلنة الفكر السياسي** : انفصال ادارة الدولة عن الأيديولوجيا الدينية ، ترجه جذورها لـ(ميكافيلي) أسس فكر السياسي على قواعد علمية ثابتة تفصل الدولة ومؤسساتها عن المشروعية الدينية .

ج. **عقلنة القول الديني** : ترتبط برفض السلطة الدينية وايديولوجيتها فالحداثة كمشروع جاء كردة فعل ضد الهيمنة الدينية المرتبطة بالكنيسة المسيحية ورفض الدين الايديولوجي السياسي .

مثلت العقلانية مقوم للحداثة فعصر الحداثة هو "عصر عقلنة *الحياة"[3]، عقلانية عبر عنها (كانط) بمحكمة العقل، شعارها (تجرأ على استخدام عقلك) ليخرج الإنسان عن قصوه ، لتؤسس العقلانية الذاتية

([1]) عبد الوهاب المسيري، دراسات في الحداثة الغربية، ط1، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة، 2006، ص 34.

([2]) فتحي التريكي ورشيدة التريكي، فلسفة الحداثة، د ط، مركز الأنماء القومي، بيروت،1992، ص ص 29، 31.

* تستلزم العقلنة الوعي الضدي فتتبثق الحداثة باللحظة التي تتمرد بها الأنا الفاعلة للوعي على طرائقها المعتادة بالأدراك، أي ثورة على المسلمات والتمرد على انساق التفكير التقليدية، وينشأ الوعي أولاً بـ(المستوى الفردي) يتمرد فيه الفرد على نفسه، وثانياً(مستوى موضوعي) يرتبط بالواقع ليؤسس الفرد معرفة تحرره من علاقته بنفسه والموضوع (ينظر في ذلك : جابر عصفور، هوامش على دفتر التنوير، ط1، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء، 1994، ص 61) .

([3]) فتحي التريكي، مصدر سبق ذكره ، ص ص 31 – 32 .

المرتكز الثاني للحداثة ، فهي نتيجة للعقلانية والتطور التقني بالنظام الرأسمالي ، الذي يعدَ حاضنة الحداثة فينعكس ضمنها قيمه الاقتصادية وتطوره التقني ونهضته السياسية /الاجتماعية المعترفة بقدرات الانسان وحرياته ، فالحداثة هي مجمل التحولات البنيوية لعصر التنوير ، عدت الانسان مركز الكون ، محدثة نقلة نوعية شمولية مشكلة قطيعة مع الماضي[1]، لتتضمن معنى العدمية [2]، والمنعكسة بقطيعتها مع القيم الدينية ، وكذلك بالعلمانية فالحداثة "حركة علمانية ... اخترقت ببطئ المقياس الاجتماعي لتحرر التوجيهات"،عدَها (هيجل) "حد فاصل ومرحلة نهائية من التاريخ" ، فالحداثة " ليست قطيعة مع الماضي فحسب بل هي الغاء له وتوليد حركة طليعية متقدمة"[3]، لتعرف بانها (النهوض بأسباب العقل والتقدم والتحرر) ، و(ممارسة السيادات الثلاث عبر العلم والتقنية على: الطبيعة والمجتمع والذات)، أو (انها العلمانية) [4]، التي تتخذ بعدين : فصل الدولة عن الكنيسة ، والعلم عن الكنيسة [5]، لتؤسس مجتمع حديث أساسه العقلانية وحق الاعتراف بالفرد وحقوقه ، بديلاً للمجتمع التقليدي فالحداثة المكتملة نقيضاً للنموذج الطائفي ، أنه حرية بلا حدود وقيد ، يؤكد على الحقوق ، فالمجتمع الحديث مجتمع المساواة ، يصنع ذاته ذا ديناميكية تطورية تضمن معنى التحول الذاتي ، أنَه " تدمير للذات تمهيداً لإعادة بنائها" [6]، ورغم مواكبة الحداثة الرأسمالية إلا أنَها استهدفت تقويض هيمنة البرجوازية على المؤسسات السياسية والثقافية ؛ بإحياء الساحة الجماهيرية–أي المؤسسات واللقاءات بين الكيانات الحكومية والخاصة اساسها المناقشة والتواصل بين المواطنين–لترفض انماط الحياة البرجوازية وهيمنة القيم النفعية والبيروقراطية السياسية[7]،لتخلص الحداثة لركنها الأخير وهو "النظرية الخطية للتقدم التاريخي" فلابد من أنَ يسير

([1])إبراهيم الحيدري ، النقد بين الحداثة وما بعد الحداثة، ط1 ، دار الساقي ، بيروت ، 2012، ص ص 284، 287 .

([2]) المصدر نفسه ، ص 14.

([3]) نقلاً عن : ابراهيم الحيدري، مصدر سبق ذكره، ص ص 285، 287، وكريستوفر باتلر، الحداثة مقدمة قصيرة جداً، ترجمة: شيماء طه الريدي، د ط، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2016 ، ص 84.

([4])طه عبد الرحمن، روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، ط1 ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2006 ، ص23.

([5])علي فياض ، نظريات السلطة في الفكر السياسي الشيعي المعاصر، ط1، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، 2010 ، ص392.

([6]) آلان تورين، براديغما جديدة لفهم عالم اليوم ، ترجمة: جورج سلمان ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2011 ، ص ص 134– 135.

([7]) والتر آدامسون، الحداثة في الفن والأدب والنظرية السياسية، في موسوعة كمبريدج للتاريخ والفكر السياسي في القرن العشرين ، ترجمة: مي مقلد ، ج2 ، ط1 ، الدار القومي للترجمة، القاهرة، 2010 ، ص ص 129–131.

التاريخ وبشكل حتمي نحو التقدم[1]، فإذا كانت الحداثة تتضمن معنى القطيعة مع الماضي لتحقيق والحرية ، فذلك يمثل لحظة الوعي بالتقدم ، صحيح انَ فكرة التقدم العلمي والتقني موجودة منذ الأزل بيد أنَ الوعي بالتقدم وربطه بالتحرر والانعتاق وثيق الصلة بالحداثة، ولذلك اصبح العقل مرادف للتحرر والتقدم ، ليكن التقدم المؤدي للتحرر والرفاه والسعادة هدف الحداثة [2].

وعليه تمثل الحداثة مشروع التنوير الغربي قائم على العقل ومركزية الذات والتحرر والانعتاق والتقدم ، المرهون بالعقلانية والتقدم التقني/الصناعي الذي يسيره العقل العلمي نحو سعادة الإنسانية .

2- أزمة الحداثة السياسية وولادة فكر ما بعد الحداثـة

أ- أزمة فكر الحداثة السياسي وأهم نقاده بالفكر الغربي

بدأت ازمة الحداثة بحقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية بدأ تفكيك المفاهيم الرئيسية للحداثة، وشاع القول بأن الحداثة مفهوم تخطاه التاريخ وثبت فشله ؛ فلم ينتج سوى النظم الشمولية فكانت الحداثة مقدمة للفاشية والطغيان والفوضوية والفردانية واللاعقلانية السياسية، كما أنَها تضمنت الميتافيزيقا فلم تتجاوزها ، ولم يتجاوز الإنسان قصوره العقلي فلم تتحقق العقلانية ، أما فكرة التقدم فقد باتت اسطورة[3]، ولابد من التمييز بنقد الحداثة بين تيارين وهما الآتي:[4]

1) **نقد الحداثة من الداخل** : يعدَ (هابرماس، وآلان تورين) أبرز رواده ، يمثل امتداداً لمشروع الحداثة الغربي يهدف لتقويم مقولاتها وتصحيح اخطائها ومعالجة انسداداتها .

2) **نقد الحداثة من الخارج:** يعدَ (غارودي) ابرز رواده، يؤسس لحداثة بديلة تختلف بشكلٍ جذري بجوهرها وروحها عن الحداثة الغربية، أذ تنطلق من مرتكزات وقيم واسس وغايات مختلفة .

مثل التيار الأول عند (فريدريك جيمسون) بـ(الموقف التطوري) ابرز رواده من اليسار المعاصر، ينظر للحداثة كظاهرة اوربية استثنائية ، امتدت لمختلف الثقافات لترتبط بالمركزية الأوربية وهي مركز النظام العالمي ولذلك لابد من أنجاز الحداثة، أما الثاني فهو "موقف المحافظين" لـ(هايدجر ، نيتشه) ينكرون على الحداثة أي سمة إيجابية ويقترحون الغائها[5]، ويعدَ (نيتشه) أول نقاد الحداثة قوض أسس الذاتية

([1])عبد الوهاب المسيري ، ندوة الحداثة وما بعد الحداثة، دط، جمعية الدعوة الاسلامية العربية،طرابلس، 1998، ص17.

([2]) سمير أمين، العولمة والتحولات المجتمعية في الوطن العربي ، ط1، دار أويا،طرابلس،2000،ص ص 40-41.

([3]) سمير امين ، مصدر سبق ذكره، ص 44 ،والتر آدامسون ، مصدر سبق ذكره، ص 131.

([4]) الشريف طوطاو ، روجيه غارودي والفكر العربي الإسلامي، ط1، المنهل، 2014، ص 234 .

([5])فريدريك جيمسون، ثقافات العولمة، ترجمة : ليلى الجبالي، ط1 ، المركز القومي للترجمة، القاهرة ، 2004 ، ص35.

والعقلانية والتقدم وأهم أفكارها السياسية داعياً لإرادة القوة ، وبنقده عقلانية يشير إلى أنَ انتصار الوعي هو اغتراب الطاقة البشرية وتماهيها مع ألة وقوى غير انسانية تخضعه فلم يتحرر، وينتقد تماهي الحداثة مع النفعية مما أخضع الفرد لقيم المجتمع البرجوازي ، أما الحرية والمساوة فهي خطر لابد من تحطيمه ؛ طالما الاختلاف بالقوى أساس البشرية ، كما تؤدي لاعتماد الفرد على المجتمع والدولة لا على ذاته ، أما الارتقاء والتطور فهو هدف الانسانية لا السعادة والتحرر ، ووسيلة تحقيق هذا الهدف هو التنوع والتفرد لا المساواة لينتقد الحداثة، اما التحرر عبر العقل فكان الانتقاد الاهم [1]،فالتاريخ لا يسيره العقل فقط كما يعتقد (هيجل وكانط) وإنما تسيره قوى لاعقلانية فيه ، وإلا كيف ظهرت الفاشية والنازية بأكثر البلدان الغربية تقدما بعد مائة عام على الحداثة ، أما المعرفة فلم تخلوا من المصالح السلطوية[2].

أرتبط نقد العقل الحداثي بالعلم فأن كان العقل قد احدث تطور هائل للعلم لخدمة الإنسانية ، إلا أنَه طور قدرة هائلة لـ"الموت النووي" بحكم انتشار اسلحة الدمار الشامل ، والتراجع الإنساني بحال تواصل المحيط الحيوي بالتنمية ، أما أسطورة التقدم والسعادة والتحكم بالعالم فكيف يمكن لفكرة التقدم أنَ تصمد أمام الحربين العالميتين وتقاوم الشمولية ، لقد تفككت هذه الاساطير منذ أول انفجار حاق بالأنظمة الشمولية وخطر دمار الكامل ، غابت امكانية التنبؤ بالمستقبل [3]، لقد وصلت الحداثة بعد اكثر من خمسمائة سنة لنهايتها، ويصف لنا (فريدريك جيمسون) سيناريوها نهاية الحداثة بالآتي : [4]

1- **تدمير الكرة الأرضية** : تنتهي الحداثة بنهاية الحياة ؛ ذلك للطابع الاستغلالي الرأسمالي المدعوم بالتطور التقني، "أنَه حد موت الحياة ... باستخدامها التكنولوجيا البيئية المضادة" وهو حد متحقق .

2- **تدمير الإنسانية:** نهاية الحداثة بفناء الأغلبية العظمى من البشر بالبؤس والجوع ، فالفقر هو النهاية المطلقة لرأس المال، ويجسد واقع قانون الحداثة المنشطر إلى قطب تتراكم فيه الثورة ، وقطب تتراكم فيه البؤس والفقر والعبودية يجسد قطب العمالة ، وإزاءه تسقط اطروحة الحداثة بالتحرر .

ب- ما بعد الحداثة : دراسة في الافكار السياسية والمشروع النقدي

([1]) إبراهيم الحيدري، مصدر سبق ذكره ، 334، 336.

([2])هاشم صالح ، الصراع بين العقلانية واللاعقلانية بالفكر الأوربي مشكلة نيتشه، مجلة الملتقى ، العدد 16 ،2007، ص87.

([3])إدغار موران ، هل نسير إلى الهاوية ، ترجمة: عبد الرحيم حزل ، دط ، دار افريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، 2012 ،ص ص 26، 28.

([4]) فريدريك جيمسون وماسو ميوشي، مصدر سبق ذكره، ص ص 36 ، 38.

ظهرت ما بعد الحداثة بوصفها توجه نقدي للحداثة والتنوير، نتيجة لتطور المعرفة أولا ، وانهيار المشروعات الغربية الكبرى مثل دولة الرفاه بالغرب والمشروع السوفييتي ثانياً ، وتعاظم القوى التكنولوجية والتقنية واثارها المدمرة على الإنسان والبيئة كالأسلحة الذرية والكيمياوية ، وقيام حربين عالميتين ، واستعمال التكنولوجيا لإبادة جنس كالمحرقة النازية و(اوشفيتز) (Auschwitz) ثالثاً [1]، نقداً مرجعه نقد عقلانية الحداثة ؛ فما قدمه من خدمات لا تقارن مع النتائج المدمرة للحربين العالميتين والحملات الاستعمارية التي اهدرت الكرامة الإنسانية ، وكذلك المحرقة فكانت ثمرة للاعتقاد بعاقلية الانسان القصوى قسمت الجنس البشري لأعراق واجناس تتقاتل ، اما قيم الحداثة فأصبحت قنبلة موقوتة تهدد الوجود ذلك لأنها ضخمت الأنسان والغت الغيرية [2]، والنتيجة مشروع ما بعد الحداثي نقدي قوامه التشكيك بالمفاهيم الحداثة كالعقل والهوية والموضوعية والتحرر والتقدم ، وعلى نقيض ذلك تبنت رؤية للعالم بوصفه شيء عارض غير حتمي بلا اساس ثابت [3]، مشروع نلخص اهم افكاره بالاتي :

1-نقد السرديات الكبرى: قدمه (ليوتار) وتشمل فلسفات الكبرى كالرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية والحداثة ؛ فأدت إلى تكبيل الفكر وانتهكت الحريات والحقوق [4]، فالمجتمع ما بعد الصناعي فقدت فيه السرديات مصداقيتها؛ لـ"ازدهار التقنيات التكنولوجيا منذ الحرب العالمية الثانية... كما أنَه أحد أثار نشر الرأسمالية الليبرالية المتقدمة" [5]، ليعلن (ليوتار) "نهاية السرديات الكبرى" أو التشكيك بالأساطير ، أما فكرة التقدم الماركسية والليبرالية فقد انتجت الرعب السياسي بالقرن (20) ، وتشابه هذه الافكار فكر "ما بعد الإيديولوجيا" المتمثلة بالشمولية والفاشية والشيوعية ، اضاف (ليوتار) الديمقراطية الليبرالية فهي سردية كبرى مضللة للحداثة[6]؛ حاولت هذه الحكايات أنَ تحرز صفتين الأولى (كوسمو-سياسية تتجاوز الهوية الثقافية نحو هوية وطنية كونية)،والثانية(نزعة انسانية تفترض تاريخ كوني تُدمج به الجماعات الخاصة كلحظة بسيرورة كونية للجماعة الانسانية) ، لذلك قدم الميثاق العالمي لحقوق الإنسان بعبارة "نحن الشعب

([1])الزواوي بغورة ، ما بعد الحداثة والتنوير، ط1، دار الطليعة ، بيروت ، 2009 ، ص ص 14-15.

([2]) مجموعة مؤلفين، الحداثة وما بعد الحداثة من عصر الميتافيزيقا والكليات إلى عالم بلا مركزيات ، ط1، دار ابن النديم، الجزائر ، 2019 ، ص107 .

([3]) تيري ايغلتون، أوهام ما بعد الحداثة، ترجمة: منى سلام، دط ، اكاديمية الفنون وحدة اصدارات ، دم ، د ت، ص 7.

([4]) إبراهيم الحيدري، النقد بين الحداثة وما بعد الحداثة ، ط1، دار الساقي ، بيروت ، 2012 ، ص ص 357-358 .

([5])جان فرانسوا ليوتار، الوضع ما بعد الحداثي ، ترجمة : احمد احسان ، ط1 ، دار شرقيات ، القاهرة ،1994، ص56.

([6]) بيير ديوس، ما بعد الحداثة : امراض الحداثة من نيتشه إلى فلاسفة ما بعد البنيوية، في موسوعة كاميريدج للتاريخ: الفكر السياسي في القرن العشرين ، م2 ، ترجمة: مي مقلد ، ط1 ، المركز القومي للترجمة، القاهرة ، 2010، ص42.

الفرنسي"، وقدمت البروليتاريا كمخلص للإنسانية من الاستلاب ، لكن التاريخ دحضها كـ(حزب اليمين المتطرف)بشعاره "الفرنسيون أولاً" ليؤكد تفتت البعد الكوني وانهيار انموذج المواطن العالمي، والاوشفيتز فأبطلت حكاية "كل ما هو واقعي هو عقلاني ، وكل ما هو عقلاني هو واقعي"، وحوادث برلين (1953) وبودابيست (1956) أبطلت شعار الماركسية القائل "كل ما هو بروليتاري شيوعي وكل ما هو شيوعي بروليتاري" ، بمناهضة العمال الحزب ، والازمات المالية والطاقوية العالمية (1929) و(1974–1979) مبدأ "كل ما هو ديمقراطي من الشعب ومن اجله" ومبدأ "كل ما هو حر في لعبة العرض والطلب مفيد للنمو العام والعكس صحيح"[1].

2–الايديولوجيا بين الموت وأزمة الوعي: نادى به (ليوتار، وبودريار) نقداً لم يكن بمعزل عن رفضهم للتسلط وكل النظريات السياسية التي تدعي الحقيقة والتشكيك بكل خطاب تحريري ، ليحل عندهم موت الايديولوجيا بدلاً من نقدها[2]، ذلك أنَ رفض السرديات الكبرى لـ(ليوتار) يعني رفض الأيديولوجيات المرتبطة بها[3]، أما (بودريار) فأنَ نقده الأيديولوجيا لا ينقطع عن نقده للمجتمعات الغربية المعاصرة المدعومة بالأنظمة المعلوماتية فائقة التقنية كوسائل الاعلام ، تعمل على نشر صور ومجموعة تمثيلات ومعاني تتضاعف دون كلل ، بشكل يجعل التثبت من معنى العلامة أو التمييز بين الواقع والوهم شيء غير ممكن ، لتشكل الواقع الفائق ، وبضوء هذا الواقع لم تعدَ الأيديولوجيا بعصر الصناعة والثورة المعلوماتية أمراً ممكناً ، وكذلك تفسيرات (ماركس) فلم تعد جزء من الصراع بين البنيتين الفوقية والتحتية [4]، ولا افكار وهم تدعي الحقيقة، ليعلن (بودريار) موت الايديولوجيا ، والبديل (رموز وعلامات وشفرات تشكل صور وهي الحامل الجديد للايديولوجيا تزييف الوعي والأدراك)،تمثل السيطرة الرمزية للسلطة الرأسمالية[5]، وينتج عن ذلك نقداً للأيديولوجيا العقلانية وسلطة العقل العليا بالحداثة ، فالعقل الذي يدعو

([1]) السعيد لبيب، جان فرانسوا ليوتار ونقد الفكر الشمولي،ط1،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2022، ص ص 57–58.

([2]) جورج لارين ، الايديولوجيا والهوية الثقافية ، ترجمة: فريال حسن خليفة، ط1، دار مدبولي ، القاهرة، ص 170.

([3]) سيد فارس، أنثربولوجيا مابعد الحداثة رؤى معاصرة ، ط1 ، دار روافد ، القاهرة ، 2016 ، ص 40 .

([4])ستيفن سيدمان، العلم متنازع عليه، ترجمة: مرسي الطحاوي، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2021، ص 284،وباسم علي خريسان ، مصدر سبق ذكره، ص 252.

([5]) سماح نجم كاظم، مصدر سبق ذكره، ص ص 410–411.

للفوضى وموت الحقيقة والواقع كيف ينصب أله مطلق السلطة؟، أننا "مشبعون لدرجة الانفجار بستريو اعلامي وبلاغة سياسية ...حتى لم يعد هناك امكانية للتمييز بين الحقيقة والكذب" [1].

3-نقد السلطة والدولة: إنَ" الحداثة مسكونة بالسلطة، أنها ... وعياً مشبوحاً بالسلطة بعنفها وتعسفها وبربريتها"، والتحول لما بعد الحداثة يشير إلى انهيار السلطة بأشكالها وبناها الهرمية للسلطة والتفكير لتنتقد نظرياتها واسسها ومرتكزاتها نحو تفكيكها وبيان شكلها[2]، ونقيضاً للحداثة حددت ما بعد الحداثة عبر (فوكو) السلطة بانها نتاج لاستراتيجية الصراع بين القوى فهي "علاقة قوى بحيث لا تشكل نظام... منبثة في كل العلاقات الاجتماعية والرمزية المتصادمة ، لا تفرض ... من فوق بل ... من تحت ، ولا بالعلاقات بين الحاكمين والمحكومين بل علاقات قوى"، فكرة ترجع لـ(نيتشه) القائل بتعدد علاقات القوى فلا تحصر بذات واحدة ، وبالتالي لا صحة لنظريات الحداثة المفسرة كنظرية العقد الاجتماعي، أما الجسد واخضاعه فكان النقد الأشد، بينه (فوكو) بدراسة تاريخية نقدية نبينها بالمخطط بالآتي: [3]

ت	الابستيم	نوع السلطة	الجسد/الإنسان
1	الابستيم ما قبل الكلاسيكي	سلطة التعذيب	الجسد المعذب والمعاقب
2	الابستيم الكلاسيكي	السلطة الانضباطية	الإنسان الألة
3	ابستيم الحداثة	السلطة الانضباطية والحيوية	الجسد المعقلن

النتيجة نقداً لدولة الحداثة وسلطتها ذلك إنَ الدولة الغربية الحديثة بالقرن (18) كانت مجالا لاشتغال نوعين من السلطة (سلطة انضباطية) توجه للفرد تخضعه وتتحكم به عبر المراقبة والتنظيم المؤسسي ، و(السلطة الحيوية) الموجهة للسكان وحياتهم ، فسلطة دولة الحداثة تضبط وتخضع الافراد وتتحكم بأجسادهم تخضع المجتمع مما يتحقق (الضبط الكلي) ، يكشف النقد ما بعد الحداثي بذلك مؤسسات الاخضاع ووهم مقولة الحرية[4]؛ فالدولة أصبحت كيان تسلطي يمارس الاخضاع عبر شبكة معقدة غير منظورة للسلطة ، ولذلك دعوة الحداثة المتجسد بالحرية عبر العقل انقلبت ونجمت عنه هيمنة العقل ذاته

([1]) محمد سعيد بني عايش، الحداثة من منظور إسلامي، دار الكتاب الثقافي، 2018، الأردن ، ص 64 .

([2])سيد فارس، مصدر سبق ذكره،ص381، وكمال ابو ديب،الحداثة السلطة النص،مجلة فصول،العدد3،1984،ص39.

([3])بدر الدين مصطفى، مصدر سبق ذكره، ص 169، وسماح نجم كاظم، مصدر سبق ذكره، ص 274، 277.

([4])خديجة زنتلي ، الفلسفة السياسية المعاصرة قضايا واشكاليات، ط1 ، منشورات الاختلاف، الجزائر ، 2014، ص77.

فاحتل ارض الحرية وقوضها [1]، وإذا ما انتقدت الحداثة لإنتاجها دول شمولية تحت معسكر النازية ، فأن الدولة الرأسمالية / دولة الرفاه كذلك لأزمتها الاخلاقية ؛ أذ ينتج اقتصادها الظلم والاستغلال نتيجة لسعيها لتحقيق السوق المفتوحة والاقتصاد الحر العابر للقارات مما يحقق الارباح ، ولد استغلال وتدمير متنامي للكوكب والبيئة [2]، فالنزعة الرأسمالية التصنيعية (industrialism) تنتج دمار البيئة الطبيعية فهو آثار ما يوصف بالتقدم الحداثي، كما تولد تفكيك البنى العضوية والاجتماعية للدولة الرأسمالية وصوره الاستلاب [3]، لذلك سعت ما بعد الحداثة تفتيت الكامل والجذري لأي مجتمع وكيان، وصولاً إلى الغاء الدول والقوميات والادارات الوطنية والحدود وتحويل كوكب الأرض لمجتمع اهلي موحد تشرف عليه وتديره حكومة عالمية [4]، لنخلص أخيراً إلى أهم الاختلافات بين المشروعين بالآتي: [5]

	الحداثة	ما بعد الحداثة
1	السلطة مدعومة بمؤسسات الرأسمالية واجهزة الدولة او بطبقة محددة او فئة منها.	السلطة منبثة بشبكة علاقات في المجال الاجتماعي المشبع بها لا بطبقة او مؤسسة .
2	اسست لانقسامات محددة على مستوى العلوم بالتخصصات وعلى المستوى الثقافي.	انفجار داخلي وانهيار للحدود ليختفي التميز بين الثقافة الجماهيرية والرفيعة.
3	عصر السرديات الكبرى وايديولوجياتها	ضد السرديات الكبرى وايديولوجيتها لتطرح القصص الصغرى
4	الأفكار الكلية والشمولية	التفكيك للكليات

([1])مجموعة مؤلفين ، الإسلاميون وقضايا الدولة والمواطنة، ج1، المركز العربي للأبحاث، قطر، 2016، ص 511.

([2])هبة شريف،ديني ودين الناس: الدين والعلمانية والثورة، دط، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة،2017،ص ص 38-39.

([3])وائل ب. حلاق، الدولة المستحيلة، ترجمة: عمرو عثمان، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر ،2014، ص ص 34-35.

([4]) الكسندر دوغين، الجغرافية السياسية لما بعد الحداثة، ترجمة: إبراهيم استنبولي،ط1،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2022 ، ص ص 18- 19 .

([5])علي عبود المحمداوي حفريات في مابعد الحداثة أو مابعد الحداثية ، في مابعد الحداثة دراسات في التحولات الاجتماعية والثقافية في الغرب، ترجمة: حارث محمد حسن،ط1،دار ابن النديم، الجزائر،2018،ص 16،وستيفن سيدمان، مصدر سبق ذكره، ص 285، و ايهاب حسن ، مصدر سبق ذكره، ص 18.

5	المرجعية الوحيدة او المركز	التعددية والتنوع
6	حتمية التقدم	لا حتمية التقدم
7	التراتبية والهرمية	الفوضى

ثانياً : المنظور السياسي للنظرية النقدية/ مدرسة فرانكفورت لأزمة الحداثة

الانتقال من العقل التحرري إلى العقلانية الأداتية أساس إشكالية الحداثة بالنظرية النقدية منتجة الاغتراب والنظم الشمولية ، مما يطرح المعالجات الممكنة وهذا ما سنبينه بالطرح الآتي .

1- أيديولوجيا الحداثة : جدلية العقل / التنوير

أ- الانعطاف الفكري من عقل الحداثة إلى العقلانية التقنية *

أنطلق المفكرين من نقد التنوير بما هو لحظة تأسيس الحداثة الغربية ويمثل (تجسيد لفكرة التقدم هدفه تحرير الإنسان من الخوف وجعله سيد نفسه ، ليحدد برنامجه بفك السحر عن العالم ، ساعياً للتحرر من الاسطورة)[1]، لكن ذلك لم يتحقق فسقط التنوير بالأسطورة فاستقى جوهر مادته من الاساطير رغم سعيه للخلاص منها ، وجدل التنوير هو "التدمير الذاتي للتنوير" أي التدمير الذاتي للعقل ، عقلاً فشل بمهمة الخروج من الميتافيزيقا؛ بفعل تشكيل عقلانية الحداثة العقل الآداتي الزائف ونتيجة له "تغرق البشرية في نوع جديد من البربرية بدل أنَ تدخل إلى حالة انسانية جديدة " ، واسباب ذلك هو العصر التقني لتصبح التكنولوجيا هي ايديولوجيا العصر تنتج اشكال جديدة للهيمنة ، تنتج عقلاً أداتي و وعي زائف وهو الوعي التكنولوجي يجهض النقد والنفي ويخرس نزعتهما ، ولذلك عدَ مشروع التنوير والحداثة "ثقافة خداع للجماهير"[2]، أما مبادئه الحداثة : العقل والحرية والعدالة واحترام حقوق الانسان وكرامته والتقدم الإنساني ، وكل ما يخلص الإنسان من الظلم والسيطرة التي عرفها بظل المؤسسات الدينية والسياسية بأوربا ، لم

---

* وهو نوعاً من التفكير السائد بالمجتمع الصناعي الحديث يعرف بـ(الأداتي ، والتقني ، والشكلي)، يصفه (ماركيوز) بإنسان البعد الوحد عقلانية لا عقلانية ، يعتقد أنَ الحداثة والتنوير دفعت بهذا النوع من التفكير إلى حدوده القصوى فلم تحقق مركزية العقل بل هدمت ، عقلاً يعدَ نتاج للتطور التقني ومنطق سيطرته (عبد الغفار مكاوي ، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت ، د ط ، مؤسسة هنداوي ، المملكة المتحدة ، 2017، ص21)

([1]) ماكس هوركهايمر و ثيودور ف. ادورنو، جدل التنوير شذرات فلسفية، ترجمة: جورج كتورة،ط1،دار الكتاب الجديد ، بيروت، 2006، ص ص 23 ، 32

([2]) توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، ترجمة: سعد هجرس، ط 2 دار اويا، طرابلس 2004، ص ص 49-50.

تتحقق فالمشروع لم يعد مؤهلاً لتحرير الإنسان بظل النظم الشمولية والتوتاليتاريا والنازية والفاشية التي هيمنت عليه[1]، وأن افترضت الحداثة تحرير الإنسان من الطبيعة مما يحقق تقدمه فأنَها اتت بنتائج عكسية ؛ فبينما أحكمت النزعتان الصناعية والرأسمالية قبضتهما بالقرن(19) ، تعرض البشر لشبكات أكثر توغلاً من الانضباط والسيطرة الإداريين، لتشكل الاقتصاد تعذر ترويضه ، أما الطبيعة بدأت تقيد الإنسان لا العكس وبدلاً من الرخاء الاقتصادي شاع الفقر والشفاء ، وبدلاً من التقدم الأخلاقي حدثت انتكاسة للبربرية والتعصب[2]، لينتهي بالأسطورة بمنظور (هوركهايمر ، وادورنو) وأول هذه الأساطير هو العقل التحريري ونقضاً له انتج التنوير "التدمير الذاتي للعقل"(Auto-destruction de raison)، والناتج عن التقدم التقني والانحطاط الاخلاقي والسياسي[3]،لتحدد امراض الحداثة بالآتي:

ب-الاغتراب وامكانية النقد : افول عقلانية الحداثة

الفكرة الرئيسة هي أنَ العقل والعقلانية اساس الحداثة والتنوير ، لتربط الحداثة من منظور(هوركهايمر وادورنو) بالترابط الجدلي بين (التنوير/العقل) أولاً ، وبضوء اشكالية العقلانية الأداتية نشأ الترابط الثاني وهو (التنوير/النقد) فالنقد اساس الخروج من ازمة العقل/ ازمة الحداثة [4]، فهي ازمة العقل الأداتي الذي كشف عن أساليب وأدوات هيمنة جديدة بالمجتمع الصناعي المتقدم ، ادوات ترتبط بالتقدم التقني فانتج عقلانية جديدة لـ(إنسان البعد الواحد)* عقلانية زائفة انشأتها ايديولوجيا الثقافة الصناعية ، والتي يعدها (ماركيوز) اشد من الإيديولوجيا السابقة ترتكز اليات الوفرة الإنتاجية، ووسائل النقل والاتصال بالجمهور والاعلام وصناعة الفراغ [5]، ليحدد آليتين أنتجت الوعي الأداتي وهي الآتي :[6]

---

[1]()كمال بو منير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى اكسل هونيث ، ط1، منشورات الاختلاف ، الجزائر،2010، ص 11.

([2])جيمس جوردن،مقدمة قصيرة يورجان هابرماس، ترجمة:احمد محمد الروابي، هنداوي، المملكة المتحدة، 2015، ص24.

([3]) الزواوي بغورة، مصدر سبق ذكره، ص 217.

([4]) الزواوي بغورة، مدخل إلى فلسفة ميشيل فوكو،ط1، دار الطليعة،بيروت،2013،ص75.

* إنسان البعد الواحد(one dimensional man): الإنسان البسيط غير المركب ونتاج لمجتمع البعد الواحد حيث العقلانية الأداتية التكنولوجية، يسيطر عليه العقل الإداتي والعقلانية التكنولوجية والواحدية والمادية، الجاعلة منه انسان مستلباً متشيئاً (ينظر في ذلك:عبد الوهاب المسيري،العلمانية والحداثة والعولمة،ط1،دار الفكر،سوريا،2013،ص38).

([5]) هربرت ماركوز، إنسان البعد الواحد، ترجمة: جورج طرابيشي، ط3، دار الآداب، بيروت، 1988، ص ص47-48.

([6]) علي عبود المحمداوي، الانعطاف النقدي عند مدرسة فرانكفورت،في الماركسية الغربية وما بعدها، ط1، دار ومكتبة عدنان، بغداد،2014،ص 159، وسماح نجم كاظم، مصدر سبق ذكره، ص ص 237، 239.

1) وكالات إنتاج الجمهور والحضارة الزمت الانسان بسلوكيات لتحدد ممارسته بوصفها عقلانية وهي العكس لتستلب الإنسان .

2) آلية الوفرة الإنتاجية وآلية التحكم بالفراغ وصناعته ووسائل الاتصال الجمهوري، فحددت انماط سلوكية وعادات خلقت انسان البعد الواحد ومجتمعه ووعياً زائف.

التقنية بذلك المختزلة للعقل الأنواري أنَها اللوثيان الجديد ، فـ"الألة مع إفادتها للإنسان... تقوم ببتره"[1] ، فاذا كان مشروع التنوير والحداثة الكانطي يعني خروج الانسان من حالة القصور لعدم استخدام العقل بفعل الأوصياء كرجال الدين والقواعد ... الخ ، ليرفض حالة الوصايا لإنتاجها قصور لمنعها التأمل والتفكير[2]، فأن الوصايا بالقرن العشرين (وصايا اقتصادية) نتيجة للتطور العلمي التكنولوجي المفرط ، أفرزت حركة اختزالية استلبت الإنسان بكل ابعاده باستثناء البعد الاستهلاكي ، ليمثل الاقتصاد الجديد عقلانية السيطرة والتسلط [3]، وبدلاً من أنَ يكون العلم والتكنولوجيا أداة تحرير الإنسان أصبح عقبة بوجه التحرير[4]، واستلبت امكانية النقد التي يعول عليها للأستنارة والتحرر ، بل اضاعت امكانية التأمل بفعل عقلانيتها[5]، والنتيجة النهائية لهذه العقلانية واشكال السيطرة والترشيد موت الإنسان ، فالحداثة التي اعلت الإنسان وجعلته الإله الجديد انتهت بالقضاء عليه ، والعقل الذي سعت لتحريره من الوصايا أنتهى الترشيد لاستلابه وقوة النقد[6]، ليخص (ادورنو، وهوركهايمر) لنتيجة وهي (أنَ الحداثة ومشروع التنوير خدعة كبيرة)،مما يمكن من طرح "اقصوصة الكهف" فكلما خرج الإنسان من كهف يدخل بأخر ، تختلف به القوة المهيمنة على الوعي، والحياة كفاح دائم للخروج منه، والحل هو أنَ يرفض التنوير والحداثة" كل تواطئ مع اعدائه، وحين يجرؤ على نفي الخطأ المطلق الذي هو مبدأ السيطرة العمياء"[7].

([1])علي عبود المحمداوي، المصدر نفسه،ص159،وماكس هوركهايمر و ادورنو ، مصدر سبق ذكره ، ص 60 .

([2]) عبد الله أسحق، محطات حركة التنوير الأوربية، ج1، دار أبن الرشد ، القاهرة ، 2017، ص ص 10 ، 38 .

([3]) مجموعة مؤلفين ، الحداثة وما– بعد الحداثة من عصر الميتافيزيقا والكليات إلى عالم بلا مركزيات ، مصدر سبق ذكره ، ص ص 90–91.

([4]) محمود أمين العالم ، ماركيوز أو فلسفة الطريق المسدود ، ط1 ، دار الآداب ، بيروت ، 1972 ، ص 65 .

([5]) ماكس هوركهايمر وثيودور ف. ادورنو ، مصدر سبق ذكره ، ص 60.

([6])عبد العزيز بوالشعير ، أزمة الحداثة الغربية : انتقال العقل الإسلامي من التقويض إلى البناء ، مجلة اسلامية المعرفة ، العدد 76 ، 2014 ، ص 61 .

([7])مجموعة مؤلفين ، الحداثة وما– بعد الحداثة من عصر الميتافيزيقا والكليات إلى عالم بلا مركزيات ، مصدر سبق ذكره ، ص96 ، و ماكس هوركهايمر و ثيودور ف. ادورنو، مصدر سبق ذكره، ص 64.

ج- نقـد اسطـورة الحداثة التقدمي والعلمي

نقد التقدم يرتكز على نقد التطور التقني والعلمي، نقداً يستمد فكرة (هايدجر) القائلة بأن التقنية ليس أداة بيد الإنسان بل أداة تسيطر وتخضع الإنسان ، واعتبرته مجرد "دمية" بين مخالب الآلات والاجهزة التي تستعبده حولته لـ"موظف للتقنية" [1]؛ لذلك عبرت التقنية عن (نهاية ميتافيزيقا الحداثة) أي ميتافيزيقا الذاتية كتجلِ سامِ للحداثة ، طور (أدورنو) هذا النقد فعدَ التقنية أساس العلم والمعرفة ، لا يستهدفان السعادة والتقدم بل أداة زيادة رأس المال ، فالعلم بذلك نفعي عملي لا يستهدف المفاهيم بل استثمار رأس المال ، أصبح أداة هيمنة شكلت العقلانية الإداتية دحضت مركزية العقل والذات، فالتنوير والحداثة "افنى وعيه بذاته وصولاً حتى الأثر الأخير"[2] ، فلم تحرير الإنسان بل تقويضه عبر العقلانية الأداتية التي اجهضت مشروع الحداثة الغربي بل وعده "جحيم" لابد من الخروج منه بفعل نتائجها الآتية : [3]

1- **المستوى السياسي:** انتج وعي الحداثة الكليانية صورتها النظم السياسية الغربية كالفاشية والنازية .

2- **المستوى العسكري** : أنتجت العقلانية الأداتية حربين عالميتين .

3- **المستوى الاقتصادي:** انتج هيمنة منطق السوق، وتوظيف العلم والتقنية أداة لإدامة نمط الإنتاج .

4- **على المستوى الاجتماعي / الثقافي** : انتجت المجتمع الاستهلاكي ذا البعد الواحد وتسليع الثقافة ، و ثقافة الهيمنة الرأسمالية .

إنتج التقدم التاريخي نقيضه وعلى المستوى العلمي يشير(هابرماس) لطغيان (النزعة العلموية) على مجمل مناحي الحياة ، نزعة تدور مطارحاتها حول خطر التقدم العلمي على الطبيعة والإنسان[4]، نشأت بالمجتمع ما بعد الحداثي ، ناتجة عن دمج السلطة التقنية العلمية مع أيديولوجيا التكنوقراط ، تهدف إلى حماية قوى الإنتاج المهيمنة على الدولة ليعدَ العلم والتقنية أدوات سيطرة ، تنتج هذه النزعة تعجيل التطور التقني وضغط العقلانية ، قوضت الأطر المؤسسية ولأنساق الفرعية ذات السلوك العقلاني ، وبالتالي لم

([1]) كمال بو منير، مسألة التقنية بين هايدجر ومدرسة فرانكفورت، مجلة تبين، العدد 32، 2009، ص 63.

([2]) المصدر نفسه، ص 64 ، و محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، ط2، دار افريقيا الشرق، المغرب، 1998،ص 228.

([3]) مصطفى بن تمسك ، مسارات الحداثة الأوربية ونهاية الريادة ، ط1، مؤمنون بلا حدود، بيروت، 2018، ص114.

([4]) أسماء حسين ملكاوي، اخلاقيات التواصل في العصر الرقمي هابرماس أنموذجاً ، ط1،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر،2017، ص 33 .

يحقق التقدم العلمي والتقني التقدم–خلافاً للحداثة– بل أصبحا" وظيفة شرعيات السلطة"[1]، لينفصل العلم عن القيم الأخلاقية مما أدى إلى تشكيل معرفة تقلص الطبيعة النقدية للعقل ، علم ومعرفة يدعي التحرر من القيم والأيديولوجيات بيد يسعى للهيمنة ، لتشكل عقلانية علمية تنسجم مع املاءات الدولة الرأسمالية والبيروقراطية ، لتشكل كلاً من: البيرقراطية والرأسمالية والعلم أشكال للعقلانية الأداتية، وتمثل الجوهر الحقيقي للتنوير فلم يحقق التحرر ؛ أذ تحول هذه العقلانية الطبيعة لشيء يهيمن على الإنسان الروبوت، تحول التقدم لاغتراب والحرية لسيطرة والاستقلال مصدر إزعاج والنقد مصدر تهديد، جسد ذلك قيم واهداف التنوير لكنها انتهت بعقلانية الهيمنة والسيطرة والافكار اللاعقلانية ، ففي أعماق خبايا الحداثة "يهتاج سجين هائج يحول بفاشيته العالم بأسره إلى سجن"[2]، فشكلت الحداثة المغلوبة المرتبطة بالعولمة والنظم البرجوازية/الرأسمالية ودولها وحالة عدم المساواة الناتجة منهما ، مما ولد حالة عدم المساواة والاستعمار، مما يشكل غياب العصر التنويري وقيم التحرر والتقدم[3].

2– نقد الحداثة السياسية : جدلية الحداثة والأنظمة الشمولية

ابرز نقد للحداثة السياسية واسطورة التقدم هو نقد النظم الشمولية فاطلقت النظرية النقدية صرختها المدوية "أنَ التنوير يعني الشمولية"، ويراد بالنظم الشمولية ايديولوجيا الفاشية والنازية المهيمنة ما بعد الحرب العالمية الاولى ، والتي كشف واقع ما بعد الحرب العالمية الثانية جرائم الابادة الجماعية ، مما ولد ضرورة لدراسة نقدية لتقصي جذور نتائج السلطوية لصيرورة الحداثة والتنوير والعقلانية ، أي البحث عن الجذور بفكر التنوير والحداثة[4]، فتعد الشمولية كارثة الحداثة نتجت عن الفصل بين العلم والاخلاق ، فأنتجت العلوم الحديثة والمذهب الوضعي الهادف إلى الاستخدام التقني ، اما فلسفات العدمية النشأة بالقرن (19) كما جسدها (نيتشه ، والماركيز دي ساد) فأنها اخرجت العقل من نطاق الاخلاق والعدالة ، وهنا تحديداً تكمن بوادر الكارثة ، والتي نتجت عنها الفاشة والنازية وجرائم الإبادة والمذابح الكبرى ،

([1]) إبراهيم الحيدري ، مدخل تعريف إلى هابرماس في العلم والتقنية ، مجلة أبواب ، العدد 7 ، 1996، ص 61.

([2]) ستيفن اريك برونر، النظرية النقدية مقدمة قصيرة جداً ، ترجمة: سارة عادل، د ط، هنداوي، المملكة المتحدة،2017، ص 57–58 .

([3]) أبراهيم الحيدري، سوسيولوجيا العنف والارهاب ، ط1 ، دار الساقي ، بيروت ، 2015، ص ص 82–83.

([4]) الزواوي بغورة، مدخل إلى فلسفة ميشيل فوكو، مصدر سبق ذكره، ص77، وعزمي بشارة ، الدين والعلمانية في سياق تاريخي، الجزء2 ، مج1 ، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2015 ، ص 712.

فنشأت على علم أداتي منفصل عن الاخلاق والعدالة [1]، بالإضافة للعقلانية الأداتية التي دحضت التقدم الحداثي ؛ فأن اشترط التقدم المزيد من العقلانية والثورة المعرفية والعلمية فأن ذلك لم يحقق التقدم بل انتهي بالبربرية والاسطورة التي تعد النازية الانموذج الأمثل لها بالمجتمع الألماني المتقدم[2]، لتنتهي العقلانية التنويرية للاعقلانية افضت للشمولية ومعادات السامية ، وجعلت الرأسمالية – التي تعد النازية ذروت تطورها – تحول مُثُل الحداثة لواقع مخيف تجسد بمعسكرات الاعتقال ، وهذا بدورة يفتح الباب للنظرية النقدية للتمييز بين نوعين للعقل وهما الآتي : [3]

1- **العقل التنويري التحريري:** يقوم على افكار الثورة الفرنسية وقيمها كالحرية والعدالة والسلام والسعادة.

2- **العقل الأداتي:** عقل ناتج عن التطور التقني والعلمي يخدم الهيمنة والسيطرة ينتج الشمولية ، لينتقل عقل التنوير بتطوره إلى نقيضه الأداتي ، بيد أنَ انهيار هذا العقل تكمن داخله ونابعة من تطوره وهي النزعات الشمولية الاستبدادية ، وبذلك دمر التنوير نفسه وانتهى إلى البربرية .

وهذا ما يجعل عقلانية الحداثة التحررية عقلانية "تحمل في احشائها نقيضها الهدام الذي انقلب إلى وحش ضار غير قابل للترويض يدوس ويحطم من يعترض طريقه"، وهذا ما جسدته بربرية الحداثة بالفاشية والنازية وتوتاليتارية النظم الاستبدادية والشيوعية السوفيتية ، أنها تعبير عن "انتحار العقل"[4].

3- النظرية النقدية بين المعالجات ومقولة الحداثة مشروع لم ينجز

الانقسام الفكري الأبرز بين تياري ما بعد الحداثة الفرنسية والألمانية يتجسد بمقولة (هابرماس): (إنَ الحداثة مشروع لم ينجز بعد)؛ فتذهب الاولى إلى أنَ ما بعد الحداثة تجاوز للحداثة التي انتهى عصرها ، في حين تذهب المدرسة الألمانية*عبر النظرية النقدية لوضع المعالجات للخروج من ازمة الحداثة [1]،

([1]) المصدر نفسه ، ص 722 .

([2]) كمال بومنير ، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت ، ط1 ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، 2010 ، ص 18.

([3]) عبد الغفار مكاوي ، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، د ط ، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة ، 2017، ص45.

([4]) حسن مصدق ، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت النظرية النقدية التواصلية ، ط1 ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، 2005 ، ص54 .

*الحرب بين المدرسة الألمانية والفرنسية دائم وقديم، فالمدرسة الألمانية تتهم الفرنسية بأنها تتلمذت على يدها وأنها مهما كبرت ستبقى تقتات على ما قدمه فلاسفتها كـ(هيجل، ماركس، نيتشه)،أما الفرنسية فتذكر بأمجاد فلاسفتها الجدد كـ(فوكو، وبودريار،ودريدا)، مابعد الحداثة احد اوجه النزاع الفرنسي بقيادة (ليوتار) و(موت السرديات الكبرى)،و(هابرماس) (الحداثة مشروع لم يكتمل) متخذ موقف دفاعي عن الحداثة وهجومي من ما بعد الحداثة الفرنسية ، فيؤمن (هابرماس) بالحداثة وقيمها : العقلانية ، العلم، التنوير، وأن نقدها ينبغي أنَ لا يؤدي لمستقبل مجهول تجسده ما بعد الحداثة ،ودعا للصلة

فالحداثة "مشروع لم ينجز بعد"[2]، ولذلك لا تجسد ما بعد الحداثة نهاية الحداثة وفشل مشروعها، بل أنها وفق (هابرماس) محاولة لأثراء مرحلة الحداثة ذاتها واتمام مشروعها حتى النهاية [3]، لينتقد بمقاله (Modern and postmodern architecture)المحافظين الجدد كـ(فوكو ودريدا)، فيريدون بـ(post) –البادئة–الابتعاد عن ماضٍ بعينه، بالوقت نفسه يعبر عن عجزهم عن تسمية حاضرهم "لأننا حتى الأن لم نجد حل للمشاكل التي تترقبنا في المستقبل"[4]، في حين اعلن (هابرماس) إمكانية تحقيقه عبر توجيه سياسة التحديث المجتمعي نحو غاية وهدف معين وهو تقييد النسق الاقتصادي وجعله مستقل عن الأنساق الاخرى للحد من العقلانية الاداتية ، وتكوين العقلانية التواصلية فهي المخرج لأزمة الحداثة [5]، أما (ادورنو ، وهوركهايمر) فنقد الحداثة لم يقطع الأمل بمعالجتها، املاً بورثة(ماركس)للخروج من العقلانية الأداتية ونمط الهيمنة الرأسمالي الحداثي، فقد اظهرا ايماناً بقدرة نقد الايديولوجيا التقنية وانعكاسها في تمكين العقل البشري عن الكشف عن الحقيقة[6]، لتـارح النظرية معالجاتها اهمها الآتي :

أ- البعد الجمالي الاستيطيقي التحريري

اجتمع رواد النظرية النقدية على الطاقة التحررية للبعد الجمالي الفني لمعالجة ازمة الحداثة، فالإنسان من منظور(ادورنو، وهوركهايمر)لم يبقى له بعد هيمنة العقل الأداتي سوى البعد الجمالي الذي احتفظ بقدرته على إعادة تمثيل العالم وتشكيله بشكل حر خالٍ من الاكراهات والضوابط، حتى ان التجربة الفنية باتت المهرب الوحيد للتمرد على الواقع ، فيحتوي على طاقة تحررية ورمزية ضد واقع الانضباط الأداتي ومجتمع المراقبة، بوصفها لحظة نقدية سالبة للمجتمع القائم، ومجالاً حر للتعبير عن تناقضات المجتمع

بالتراث الفلسفي بدعوته لنظرية العقل التواصلي، في حين اتخذ(ليوتار)قطع هذه الصلة باعتقاده بموت السرديات الكبرى (ينظر في ذلك: محمد طه جواد واسيت عبد القادر، الأدب الهامشي،ط1، دار الخليج، 2020 ص ص82-83) .

([1]) باسم علي خريسان، مصدر سبق ذكره، ص 253.

([2]) يورغن هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، ترجمة : فاطمة الجيوشي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق، 1995، ص5.

([3]) محمد السني، الثورة وبريق الحرية ، ط1، دار الأدهم ، مصر، 2017، ص 186 .

([4]) أحمد عبد الحليم عطية ، نيتشه وجذور ما بعد الحداثة ، ط1 ، دار الفارابي ، لبنان ، 2010، ص 132

([5]) سيد فارس ، مصدر سبق ذكره، ص41.

([6]) جين بينيت، الحداثة ونقادها، في دليل اكسفورد للنظريات السياسية، ترجمة: بشير محمد الخضرا، ط1، المرز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، قطر، 2022، ص 306.

[1] ، ويعد (ماركيوز) البعد الجمالي المخرج الوحيد من العقلانية الأداتية ، يحدد وظيفته بنقد المؤسسات السياسية التي تكرس السيطرة على العقل ، بهدف تجاوز الوضع القائم وخلق وضع إنساني جديد ، تحقق فيه الحرية والسعادة ، وهذا ما يعطي الجمالية صفة ثورية ونقدية ترسم صورة للتحرر الإنساني[2].

ب-العقلانية التواصلية كبديل عن العقل الأداتي

بعد هيمنة العقل الأداتي / الاستراتيجي وتعالي افكار نهاية الحداثة بنهاية العقل جاء (هابرماس) بالعقلانية التواصلية لتعيد دور العقل وتحرر طاقته الابداعية ، مؤسس البعد التواصلي للعقلانية [3]، فالعقلانية استعداد "يبرهن عليه ذوات قادرة على الكلام والعمل...اكتساب وتطبيق معرفة قابلة للخطأ" [4]،ليدخل الكلام او التواصل العقلاني بهدف تحقيق التفاهم المتبادل بفضاء اجتماعي وفق قواعد اخلاقية تحكمه ، ويحدد (هابرماس) ثلاثة ابعاد لعقلانيته (الأول : علاقة الذات العارفة بعالم الاحداث والوقائع)، و (الثاني : علاقة الذات العارفة بعالم اجتماعي يتميز بالفاعلية والانخراط الشخصي بالتفاعل مع الآخرين) ، و (ثالثاً : علاقة شخص بذاتيته وذاتية الاخرين)[5]،

لتنفتح العقلانية للحوار والتفاعل لتكون علاقة بينذاتية ، تعيد ربط النسيج الاجتماعي المتشظي وتبلور تفاعل اجتماعي يعيد الحرارة لشرايين المجتمع المعطوبة بفعل الحداثة ، التواصل براكسس عملي بين المتواصلين للتفاهم لأجل غايات اخلاقية ، ضد كل اشكال التسلط والهيمنة، مما ينعكس على ماهية العقل التواصلي بوصفه عقل مرن متفتح ، يقوم على مبادئ الحوار وهي: (المعقولية، الحقيقة، المصداقية)[6] ، تستنهض الإرادة الحرة للانا والآخر أي العلاقة البينذاتية ، ليكون هناك توافق حقيقي بين ذوات حرة قادرة على التمييز بين العقلانية الحسابية والتواصلية ، أما مجال التواصل فهو الفضاء العمومي المشترك ، فضاء وتواصل ينهي عزلة الفرد والعقل ينتج النقد المعبر عنه بأشكال الرفض ليتحرر الفرد من الوصاية الجديدة ، فيفترض التفكير التواصلي أنَ يكون الافراد متواصلون داخل الفضاء العمومي

([1]) مصطفى بن تمسك ، مصدر سبق ذكره ، ص 115 .

([2]) سماح نجم كاظم، الماركسية الغربية الجديدة، ط1 ، دار قناديل ، بغداد ، 2023 ، ص 242 .

([3]) عطيات ابو السعود،الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، د ط ، هنداوي، المملكة المتحد، 2021 ، ص ص 93- 94 .

([4]) يورغن هابرماس ، القول الفلسفي للحداثة ، مصدر سبق ذكره ، ص 482 .

([5]) عطيات ابو السعود ، مصدر سبق ذكره ، ص 94 .

([6])محمد بكاي، أرخبيلات ما بعد الحداثة رهانات الذات الإنسانية ، ط1، دار الرافدين، لبنان،2017، ص ص283-284.

المشترك احرارا ومتساوين لا يخضعون لتأثير فوقي ، ويبقى الشعور بالتحرر من الوصايا والوعي بالمواطنة اساس الحوار الجماعي ، ومن هنا ارتكز العقل التواصلي باتيقا المناقشة تحديداً على الديمقراطية وتستند لقوة الحجة لا لحجة القوة [1].

ثالثاً : زيجمونت باومان* وعصر الحداثة السائلة

من الحداثة الصلبة للحداثة السائلة ومجتمعها وسماته وابعاده النقدية لمشروع الحداثة الغربي بوصفه مرحلة تاريخية وموضع للتحليل ، يحدد مشروع (بومان) بفكر السيولة ، وهذا ما نبينه بالطرح الآتي .

1- الانتقال من الحداثة الصلبة إلى الحداثة السائلة

أ- مفهوم الحداثة السائلة (Liquid Modernity) وعصرها

تعرف الحداثة السائلة بـ(الحداثة الثانية) و(الحداثة الافتراضية) و (ما بعد الحداثة) ويرفض (باومان) ذلك مفضلاً مفردة الحداثة السائلة التي برزت بعد الحرب العالمية الثانية بأربعينيات القرن العشرين ، إذ ميز (بومان) بين نوعين للحداثة : الاولى (الحداثة الصلبة) تجسد عصر التنوير بالقرن (18) تمخض عنها مفاهيم كبرى كـ(الدولة الحديثة ، المجتمع ، والثقافة) ، الثاني (الحداثة السائلة) لأن صلابة الحداثة السابقة ذابت وتفككت بفعل الكثير من العوامل ، مولدة تداخل بالحدود وزيادة الهشاشة [2]، ويستهدف (باومان) شرح الحداثة بحركتها وتحولاتها ، منتقلاً من الحداثة الصلبة الرامية لنفي الغيب والهيمنة على العالم وبناء الدولة وصناعة القومية ، للحداثة السائلة تقوم على منطق الاستهلاك للقيم والعلاقات والأشياء ، ويحدد طبيعة العلاقة بينهما بقولهِ : " لم انظر من قبل ولا ... الآن إلى الصلابة والسيولة ... كثنائية متعارضة ، بل ... حالتان متلازمتان تحكمهما رابطة جدلية" ، فتولد السيولة من الصلابة إنها "أثر من اثار البحث عن الصلابة" [3]، ذلك أنَ صلابة الحداثة قد ذابت مما مكن من الحديث عن السيولة والذوبان سواء بحدود الدولة ، او معالم المجتمع ، وسمات الهوية الفردية ، وخصائص الثقافات ،

([1]) مصطفى بن تمسك ، مصدر سبق ذكره ، ص ص 130، 136 .

*زيغمونت باومان(1925-2017)فيلسوف(بولندي)ولد لأبوين يهودين انتمى للماركسية وعاش فترة بـ(الاتحاد السوفياتي) ، شارك بالحرب العالمية الثانية جنديا ضد النازية ، وضع خمسة وسبعين كتاب ومائة مقال، اهم موضوعاتها : الحداثة وما بعدها والعقلانية والعولمة ، مؤسساً ما يعرف (الحداثة السائلة) (ينظر في ذلك: عارف عادل مرشد ، الحداثة السائلة كبديل عن ما بعد الحداثة عند زيغمونت باومان ، مجلة افكار ، العدد 357 ، 2018 ، ص ص 58 - 59).

([2]) المصدر نفسه ، ص 60 .

([3])زيجمونت باومان ، الحداثة السائلة ، ترجمة : حجاج ابو جبر، الشبكة العربية للأبحاث ، بيروت، 2016 ، ص ص12، 27.

وبالتالي لم تعدَ حداثة التنوير الصلبة موجودة ، وحلت محلها الحداثة السائلة المرتبطة بالعولمة [1]، ليحدد موضوعها بالتحولات التي طرأت على المجتمع الإنساني والتي مست الدولة والسلطة والمجتمع والإنسان ، فالانتقال من مجتمع إلى مجتمع مستهلك هو الانتقال من الحداثة الصلبة إلى السائلة[2] ، تحولات ترجع لعوامل عدة منها أثر العولمة على الحداثة ، فأنتجت العولمة العديد من التحولات سهلت الطريق للانتقال إلى الحداثة السائلة اهمها الآتي : [3]

1- التمركز حول السوق والنزعة الاستهلاكية مؤثرة سلباً على الثقافة التي انتقلت للسلع الاستهلاكية .

2- انشاء النزعة الفردية .

3- انسحاب الدولة من ادوارها وظائفها واضحت اداة لتزييف الوعي وتبرير احتكار القهر والعنف .

اثرت نتائج العولمة كالتسلح والمجتمع الاستهلاكي على البيئة والانسان ، وخلقت الحداثة للإنسان القلق والخوف واللا-أمن والمراقبة السائلة ، فلم تتجاوز الحداثة الخوف بل انتقلت للخوف السائل المتجسد باللا-أمن ومجتمع المراقبة ، مما ولد مخاوف على مستقبل البشرية[4]، فإذا كان جوهر الحداثة بحالة الصلابة التحكم بالمستقبل وتثبيته فأن جوهر مرحلة السيولة هو ضمان استقلالية المستقبل وحريته ضد أي قوى محتملة تهيمن وتفرض سلطتها عليه ، أما محرك الحاكم للحداثة بطوريها فهو "التحديث الوسواسي القهري*... يعني التمييع والاذابة والصهر ... (والحديث عن) حداثة دون تحديث ... كالقول

([1]) منى محمد احمد الالسيد ، سوسيولوجيا ما بعد الحداثة : "زيجمونت باومان أنموذجا" ، مجلة البحث العلمي في الآداب (العلوم الاجتماعية والإنسانية) ، العدد 21، 2020، ص77.

([2]) زيجمونت باومان وآخرون ، قوة الكلمات حوارات وافكار ، ترجمة : لطيفة الدليمي ، ط1 ، دار المدى، دم ، 2017، ص ص 13، 15.

([3])زيجمونت باومان،الثقافة السائلة، ترجمة: حجاج ابو جبر،ط1،الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2018، ص8.

([4])رجاء طه محمد ، رؤية نقدية لنظرية السيولة لزيجمونت باومان ، مجلة كلية الخدمة الاجتماعية للدراسات والبحوث، العدد 29 ، 2021 ، ص455-456 .

*تشير لعملية التفكيك التي قادتها الحداثة بطورها الاول-الصلب-للنظم والأطر السابقة والمرفوضة عقليا، كالسلطة الدينية وسعى بدلاً عنها لإقامة نظام محكم وثابت يحدده الخطاب الثقافي والدولة ، فالحداثة بمنظور (فيبر) عملية فك السحر عن العالم ، وهي ما تمثل الوسواس القهري فكان مرافق للحداثة منذ نشأتها، ليتجسد بعملية التفكيك واذابة كل النظم البالية واستبدال ما صهرته واذابته بمركز اشد صلابة ، لتصب ما صهرته بقوالب جديدة (ينظر في ذلك : رجاء طه محمد ، مصدر سبق ذكره، ص 457)،وخلافها مرحلة السيولة فلا يذوب مركز صلب ليحل محله ما هو اكثر صلابة، فسمة الحداثة السائلة (اذابة كل ما هو صلب)، تحل محل "الاشكال الذائبة...اشكال اخرى ليست اقل قابلية للذوبان...ومن ثم فهي غير دائمة"(ينظر في ذلك: زيجمونت باومان ، الثقافة السائلة ، مصدر سبق ذكره ، ص19) .

بوجود رياح لا تهب ... فقد انتقل نمط الحياة الحديث من مهمة أذبة المواد الصلبة الرديئة ... إلى اذابة المواد الصلبة في حد ذاتها"[1]، فـ(كل ما هو صلب يذوب ويتبخر)عبارة يستعيرها (باومان) من(ماركس) سيولة تسعى لتذويب كل صلب ، لقد ولع (باومان) بمفهوم السيولة لما يميزها عن المواد الصلبة ، أذ تحتفظ بشكلها بسهولة ولا تتقيد بمكان وزمان ، ومستعدة دائماً للتغيير والتبديل واللاثبات ، لتتكامل مع "الحياة السائلة" حيث حالة اللايقين والحوادث السريعة ، تظهر هشاشة الهويات والعلاقات الإنسانية وقابليتها للتفتت ، يتحول بها التقدم لكابوس ، وتتغير بها فكرة الوطنية والبطل والامة والدولة [2]، فالسيولة هي التعبير الأمثل لنمط الحياة ولوصف واقع "خلو العرش" أي فترة تتعطل بها الممارسات النقدية القديمة واستبدالها بممارسات جديدة للتعامل مع انماط الحياة الجديدة ، لكنها ممارسات لا تعي ما الاطر والانماط التي ينبغي تمييعها واذابته *ولا الوجهة التي تقصدها ، فتسعى لمجتمع واقتصاد وسياسة عالمية لكن لا تعرف كيف تحققها ، لذلك الحداثة السائلة عصر انفصال السلطة بوصفها (القدرة على فعل شيء) عن السياسة حيث (القدرة على تحديد الأشياء التي ينبغي فعلها واعطاؤها الأولوية)[3].

ب-باومان ونقد الحداثة : دراسة بالمشروع النقدي للحداثة السائلة

انتجت الحداثة بنزعة التقدم العلمي الأسلحة النووية والدمار الشامل المندمجة بالتقدم التقني/ الصناعي ، والعولمة حيث السوق الاقتصادية والثقافة الاستهلاكية لتنتج ازمات لا تفتأ بتناسل تهدد بالفوضى ، وخلقت محرك لمركب الفضاء الارضي لا تحكمه السياسية والاخلاق والفكر بل العلوم والتقنيات الصناعية[4]، مما ولد نقداً هدفه انقاذ الإنسان من تغول العقلانية ، ومشاريع تنقذ الانسان من النزعة الاستهلاكية التي تعدَ وليدة النيوليبرالية ، ومشاريع تعيد للإنسان قيمه الأخلاقية وتنتشله من

([1]) زيجمونت باومان ، الحداثة السائلة ، مصدر سبق ذكره ، ص ص 28 ، 30

([2])حجاج أبو جبر ، نقدر العقل العلماني دراسة مقارنة لفكر زيغمونت باومان وعبد الوهاب المسيري ، ط1 ، المركز العربي للدراسات والأبحاث ، قطر ، 2017 ، ص ص 199 – 200 .

*أنَ حالة خلو العرش يتضمن حدان الأول: حد يرفض التعامل مع كل ما هو قديم ومتوارث لعدم مواكبتها الحياة السائلة، والثاني : حد يتعطش لمستقبل جديد وحالم فلم يكتفي بأنماط الحياة الجديدة وتحدياتها ، بيد أنَها لا تعرف ما الانماط التي لابد من اذابتها واستبدالها ، وهذا ما يعطي للحداثة السائلة وعصرها صفة التغيير واللاثبات ، فالثابت الوحيد هو التغيير والأهم التحديث فهو وسواس الحداثة بحالتيها السائلة والصلبة وسبب صرورتها الدائمة (ينظر في ذلك : احمد مداس ، معالم في مناهج تحليل الخطاب ، ط1 ، مركز الكتاب الاكاديمي ، عمان، 2021 ، ص ص 134-135).

([3]) زيجمونت باومان ، الحداثة السائلة ، مصدر سبق ذكره، ص ص 25- 26 .

([4])أدغار موران ، هل نسير إلى الهاوية ، ترجمة : عبد الرحيم حزل ، د ط ، افريقيا الشرق ، المغرب، 2012، ص11.

الاستلاب ، وأدرك (باومان) الحياة السائلة يعيشها الإنسان غريب عن وطنة ومجتمعه وذاته [1]، يحول البشر لنفايات بشرية / فائض بشري ، حياة يسودها التدمير الخلاق للإنسان فالصناعة الرئيسة فيه هي صناعة التخلص من النفايات ، فاستحوذت على المواقع القيادية باقتصاد الحياة السائلة ، أما تحديثها فيعني أنَها (تعكف على تجريد نفسها من سمات أنتهى تاريخ صلاحيتها، وخلع / تفكيك الهويات) ، ومثل انتهاء الصلاحية أول أسباب الخوف السائل واللا–أمن ، فالأنسان السائل يحتاج "إنَ يجري بكل قوته حتى يبقى في المكان نفسه بعيداً عن سلة القمامة" ، وهذا جوهر فكرة التدمير الخلاق فهو " تدمير يستهدف حيوات أخرى بمن فيهم البشر" الذين يحيونها ، أنَها أشبه بلعبة الكراسي الموسيقية**، حياة تذوب بها المراكز الصلبة[2]، وتفسح فيها العولمة السلبية الجريمة والعنف واحتقار سيادة الدولة** ، واستلاب الحقوق باسم الحرب على الإرهاب ومواجهة العنف والإرهاب المحتمل ، لصالح أنظمة ديمقراطية / استبدادية وطبقات رأسمالية طفيلية ونخب عسكرية وظيفية ، يحكمها منطق السوق وإدارة القوة وإدارة الخوف ، تنفصل بها السياسة عن السلطة لتتلاشى مطالب الحرية والعدالة ، وتنشغل السلطة بإدارة السجون وتصفية الإرهابيين ، وتطوير سبل للتخلص من فائض البشر والكائنات عديمة القيمة وما دون الطبقة والطبقات الخطرة والكائنات المستباحة [3]، لقد فشلت الحداثة في حماية الإنسان من الخطر فلم تخرجه من الخوف بل طورته ؛ ويصنف (باومان) الخطر لثلاثة فئات وهي الآتي : [4]

الفئة الأولى : أخطار تهدد الوجود الإنساني كالحروب والفتن ، نستطيع تسميته بأمن الدولة .

الفئة الثانية : اخطار تهدد النظام الاجتماعي وهي الاقرب للحياة اليومية والمتعلقة بالدخل والوظيفة .

([1])عبد الغاني بوك سكك ، تحولات الحداثة والظواهر السائلة في فلسفة زيجمونت باومان ، مجلة دراسات ، العدد 1 ، مج 13، 2022، ص ص 359–360.

**قارب (باومان) الوجود السائل بهذه اللعبة لتهدد باستبعاد الضعفاء وكل من لا يواكبون حياتها التي تتغير بسرعة ، مستقبل الانسان لم يعد كما حددته حداثة الاحلام السعيدة والتفاؤل الراديكالي ، بل صار التقدم كابوساً ، ولعبة الكراسي حقيقة مخيفة تسفر فيها غفلة اللاعب هزيمة نهائية (ينظر في ذلك: حجاج ابو جبر، مصدر سبق ذكره ، ص 220).

([2]) زيجموند باومان ، الحياة السائلة ، ترجمة : حجاج ابو جبر ، ط1 ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت ، 2016 ، ص ص 21 ، 24 .

**يحمل الطرح نقداً للمجتمع المفتوح لـ(بوبر) القائم على تقرير المصير لمجتمع حر يراعي انفتاحه ؛ لان العولمة السلبية انتهت بمجتمع الجريمة والإرهاب وانعدام الأمن، فاذا كان المجتمع مفتوح فهو مفتوح لضربات العولمة (ينظر في ذلك: زيجمونت باومان ، الأزمنة السائلة العيش في عصر اللايقين ، ترجمة : حجاج بو جبر ، ط1 ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت ، 2017 ، ص31) .

([3]) المصدر نفسه ، ص ص 8، 9 ، 31.

([4])زيجمونت باومان، الخوف السائل، ترجمة: حجاج ابو جبر، ط1، الشبكة العربية للأبحاث، بيروت، 2017، ص26 .

الفئة الثالثة : اخطار تهدد موقع الإنسان بالعالم وهويته وتتعلق بالحصانة ضد الاقصاء الاجتماعي .

جسدت دولة الحداثة* وسيلة لغاية وهي حماية الإنسان لاسيما ضد اخطار الفئتين (الثانية ، والثالثة) لكنها انتهت بوعود غير قابلة للتحقق بفعل العولمة ، فهيمنة الأسواق التي تتبع العولمة بوتيرة سريعة تخرج عن سلطان الدولة ، ولهذا تحولت الدولة من حماية المواطن وتحقيق الامن المجتمعي إلى حمايته من الاخطار المهددة للسلامة الشخصية ، فحددت معركتها بـ(عالم الحياة) المدار أساساً من الأفراد ، اما التقدم التقني فانتج آلية مهولة تنشر الخوف بكل مكان ، العالم السائل عالم الفايروسات والموجات القاتلة ، يُعني بالنهايات الدائمة اللانهاية قائم على قمع رهبة الخطر[1] ، بل وانتهت للنفايات البشرية بفعل التقدم الصناعي على المستويين الاجتماعي والاقتصادي ، وتحولت بقاع عديدة من الارض لمكب لهذه النفايات ، مما يدحض دعوة(كانط) للمواطنة العالمية وحق الضيافة ، فذلك لم يتحقق بسبب اتحاد الدولة – الامة ، الدولة – السيادة ، دولة – ارض ، فانتج ذلك سلطة سيادية اخضعت البشر ، وبنت حواجز امام الناس فظهر (اشخاص بلا دولة) و(مهاجرين غير الشرعيين) و (قانون الإنسان المستباح) "homo sacer" – الانسان عديم القيمة– فهو التجسيد المطلق للحق السيادي باستثناء ناس تستثنيهم من الانسانية جمعاء لتضيع حقوقهم[2]، ويكشف ذلك عن المأزق الحداثي لليبرالية السياسية الكامن بعدم توفيقها بين وجهها الديمقراطي وجوهرها الرأسمالي المتوحش[3]، فضاعت الحرية مقابل المراقبة السائلة فكانت أدوات الضبط والسيطرة الأشمل ، تجاوز فيها الواقع الاوربي صورة البانوبتيكون حيث الضبط والمراقبة اللصيقين بالسلطة [4]، فعصر السيولة تجاوزه لما بعد البانوبتكون المتجسد بمعالجة المعلومات بمختلف المؤسسات والاماكن ، كالمطار والمؤسسات والمدراء والموظفين ومعالجتهم للمعلومات والهاتف الذكي ، أما سماتها :

---

* انتقد (بومان) انموذج الدولة–الأمة فطرحت العولمة والسوق المالية دعوة مفادها "دعونا نبطل القواعد التنظيمية الحاكمة ...نخصص كل شيء ، دعونا نصدق ... وعود السوق ، حينها سيكون كل شيء بأفضل حال"، اثبتت الازمة المالية (2007 – 2008) بطلان وعود الدولة والسوق ، وعجزت الدولة بتحقيق مهامها الامنية فاختزلتها بـ(عالم الحياة) موكلة للأفراد مهام لا تستطيع تحقيقها ، فالمشكلات العالمية لا يمكن حلها بتطبيق حلول(سياسة الحياة) نظراً للموارد اللازمة (ينظر في ذلك زيجمونت باومان وآخرون ، قوة الكلمات حوارات وافكار ، مصدر سبق ذكره، ص ص 35–36).

([1]) زيجمونت باومان ، الخوف السائل ، مصدر سبق ذكره ، ص ص27 – 28.

([2]) زيجمونت باومان ، الحب السائل عن هشاشة الروابط الإنسانية ، ترجمة : حجاج ابو جبر ، ط1 ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت ، 2016 ، ص ص 168 ، 171 .

([3]) زيجمونت باومان ، الأزمنة السائلة العيش في عصر اللايقين ، مصدر سبق ذكره ، ص 19.

([4]) زيجمونت باومان ، الثقافة السائلة ، مصدر سبق ذكره ، ص 56 .

غير شفافة بالنسبة لتقنياتها وتحولاتها داخل المنظومة ، وشفافة لارتباطها بالأمن القومي أو المنافسة التجارية ، تنعكس سلباً عن العدالة والحرية والحقوق [1]، فالقرن (21) انتقل من عصر الحربين العالميتين للضبط بالمراقبة الناعمة ؛ فهنالك قيمتين متناقضتين لابد من تحقيقهما وهما الحرية والأمن الذي توفره الثورة التكنولوجية بعدساتها المرئية وغير المرئية [2].

واخيراً نقد عقلانية الحداثة لإنتاجها الهولوكوست فلا تعدَ مسألة يهودية أو مشكلة ألمانية ، فالمحرقة ومعسكرات الاعتقال انحراف غربي جوهره العقل والعقلانية ، فالهولوكوست "شاهد عيان على تقدم الحضارة الغربية"؟ ؛ تقدم مزدوج فالعالم الغربي منذ طرح حل المسألة اليهودية أخذ بتطور بالقدرات الصناعية والخبرة التكنولوجية ، كما اظهرت المجتمعات الغربية امكانيات لم تكن بالحسبان ، عقلانية وتطور تقني وتقدم ارجع الحضارة للبربرية فلا صحة لعدهما نقيضين ؛ فالأبداع والتدمير وجهان لم ينفصلان بالحضارة[3] ، وإن جسد النظام الصناعي وجه التقدم الغربي التقني / الصناعي فأن فكرة الحل النازي النهائي للمسألة اليهودية يجسد مرحلة فاصلة لانحراف هذا النظام ؛ فبدلا من تعظيمه الحياة وهي اول قيم التنوير والحداثة بدأ بأنهائها ، ومعسكرات اوشفيتز دليل عليها فكانت امتداد لهذا النظام ، وبدلا من انتاجه الصناعي كان البشر مادته الخام ، وانتاجه الموت مستخدماً أشد الاسلحة الكيميائية في المحارق المستخدم لأجلها تقنية متطورة ، ليسجل (بومان) لذلك انحراف للروح العلمية الغربية [4] .

2- الخروج من مأزق عصر الحداثة السائلة

رغم إدراك (بومان) لما حققه القرن العشرين من القدرة على التدمير الذاتي ، وشبح الكارثة الذي يحوم فوق القرن الواحد والعشرين والتي وفق معتقده ستنهي الحياة والإنسان ؛ لما تمتلكه البشرية الآن من اسلحة تكفي للانتحار الجماعي ينهي الكوكب بأكمله[5]، إلا أنه يقبل ببعض الحلول لبعض المشكلات كالعدالة الاجتماعية بالعصر السائل ، كنظرية الاعتراف ويميز ضمنها بين توجهين الأول مثلته (نانسي فريزر) صراع الاعتراف يستهدف تحقيق الذات لذلك ينتقدها (باومان) يتضمن عدائية وقدرة انتحارية فلا

([1]) زيجمونت باومان وديفيد ليون ، المراقبة السائلة ، ترجمة : حجاج ابو جبر ، ط1 ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ، 2017 ، ص ص 35- 36 .

([2]) نشوان حسين، ارث الدم العلاقة الملتبسة بين الجلاد والضحية، ط1، الأن ناشرون ، دم ، 2019، ص 172 .

([3]) زيجمونت باومان ، الحداثة والهولوكوست ، ترجمة : حجاج ابو جبر، ط1، مدارات ، القاهرة، 2014 ، ص61 .

([4]) المصدر نفسه ، ص ص 59- 60 .

([5]) زيجمونت باومان ، الخوف السائل ، مصدر سبق ذكره ، ص 107.

ينفتح على الاخر ، أما توجه النظرية النقدية عبر (اكسل هونيث) يستهدف العدالة الاجتماعية مما يساعد على الحوار والتفاوض وقد يؤدي إلى تكامل نظام فيتسع نطاق العرقية دون حجبها ، واذا ربطنا مشكلة العدالة التوزيعية بسياسة الاعتراف فأنَ ذلك سيحقق العدالة الاجتماعية بمجتمع السائل لتشكل "حداثة دون حداثة" جوهرها التعايش السلمي دون الامل باستئصال جذري للفقر والبؤس[1] ، أما الحديث عن التقدم والسعادة بالمستقبل فانه يضعها رهن رويتنا للواقع فمن يرى سلطته منظمة ومخططة سيحققها ، ومن يرى الواقع ينفلت وينسكب سيرى العكس ، ليخلص (بومان) إلى أنَ صيغة التقدم لمستقبل تتحقق به السعادة أمر غير ممكن لأسباب محددة وهي الآتي : [2]

1- عدم وجود قوة واحدة كافية ومستقلة تستطيع أنَ تدفع العالم إلى الأمام .

2- غموض الدور الذي تلعبه القوة المستقلة حتى وأنَ وجدت لتحسين العالم ، فكل الوعود التي قطع بالماضي انتهت لمجرد تخيلات ، مولدة البؤس والشقاء كالماركسية والليبرالية ، فكيف يمكن حل المشكلة الاخلاقية انتصرت بها الفردية وهويتها ، وكيف يمكن الانتقال من الخصوصي للعالمي ؟ .

الخاتمـــــــــــة

نخلص في خاتمة بحثنا إلى مخاض الحداثة ومشروعها الأوربي العسير الذي اسدل الواقع الستار عنه ، كاشفاً حقيقته البربرية وازمته المرتبطة بأسسه ومقولاته الرئيسية ، لأزمة اكثر ما ارتبطت بالدول الرأسمالية ونظامها المنشطر بين الوجه الديمقراطي والحقيقة الرأسمالية المتوحشة ، فلم يكن نظامها الصناعي وسلسة التطورات التقنية المهولة والتي دمجت لأجلها العلم والمعرفة لاسيما التقني محققة لأهداف الحداثة ، فالحداثة المرتبطة وجوديا وتكوينيا ببيئة المجتمع البرجوازي بالقرن العشرين لم تنتج التقدم والتطور التحرر والسعادة البشرية بل على العكس ؛ أذ انحرف المشروع عن مساره فانتج الشمولية كالنازية والتي عدتها النظرية النقدية اعلى مراحل الرأسمالية ، بالإضافة للتطور التقني رغم كل ما قدمه من خدمات للإنسانية إلا أنَه انتج تطور مهول بصناعة الاسلحة الثقيلة مولداً الرعب النووي ، والأخطار على المحيط الحيوي ، مما ولد طروحات عن نهاية العالم بتدمير البشرية وبيئتها نتاج لهذا التطور ، وهذا ما يبرر دعوة ما بعد الحداثة لتجاوز الحداثة وعدها مشروع انتج فشله ، وهي نقطة تقاطع بين النظرية النقدية والحداثة السائلة ؛ فأنَ اجتمع التيارين على ازمة الحداثة ونقد العقلانية الأداتية لما ولدته من

([1]) زيجمونت باومان ، الثقافة السائلة ، مصدر سبق ذكره ، ص 85-86 .

([2])علي عبود المحمداوي ، الوضع الإنساني المعاصر بين الانفتاح والسيولة، مجلة لاراك، العدد33 ، 2019، ص282.

شمولية ومجازرها ، ورفض سيرورة التقدم التاريخي الحتمي للحداثة ، فان المعالجات اختلفت فأنَ حملت النظرية النقدية شعار (الحداثة مشروع لم ينجز بعد) لتطرح نظرية العقلانية التواصلية والبعد الجمالي والتكنولوجيا وغيرها كحلول للخروج من ازمة الحداثة فأن هذا ما غاب عن الحداثة السائلة فلم يطرح (بومان) حلولاً كهذه بل جعل المستقبل مفتوح لمعالجات قد لا تضمن المستقبل السعيد ، كما أنَه لم يؤمن بفكرة التقدم نظراً لطبيعة المجتمع السائل ومشكلاته ، كما أنَه لم يعد الحداثة طريقة او نمط للتفكير يصل فيها الإنسان للوعي هذه الصيغة المؤسسة من (كانط) ثم انتقلت للنظرية النقدية ، بل انها في الحداثة السائلة مرحلة تاريخية لتنقسم الحداثة لمرحلة الصلبة والسائلة .

List of sources

First: Arabic and Translated Books

1. Ibrahim Al-Haidari, Criticism between Modernity and Postmodernism, 1p, Dar Al-Saqi, Beirut, 2012 .
2. Ibrahim Al-Haidari,Sociology of Violence and Terrorism, 1p, Dar Al-Saqi, Beirut, 2015.
3. Ahmed Abdel Halim Attia, Nietzsche and the Roots of Postmodernism, 1p , Dar Al-Farabi, Lebanon, 2010.
4. Ahmed Mudas, Milestones in Discourse Analysis Methods, 1p , Academic Book Center, Amman, 2021.
5. Edgar Morin, Are We Walking to the Abyss, translated : Abderrahim Hazel, n p , Africa East, Morocco, 2012.
6. Asma Hussein Malkawi, Communication Ethics in the Digital Age, Habermas as a Model, 1p , Arab Center for Research and Policy Studies, Qatar, 2017.
7. Alain Touraine, A New Pradigma for Understanding Today's World, translated : George Salman, Center for Arab Unity Studies, Beirut, 2011.
8. Bassem Ali Khreisan, Postmodernism: A Study in the Western Cultural Project, 1p, Dar Al-Fikr, Damascus, 2006
9. Tom Potomore, Frankfurt School, translated : Saad Hajras, 2p, Dar Awya, Tripoli 2004
10. Terry Eagleton, Postmodern Illusions, translated : Mona Salam, I p, Academy of Arts, Publications Unit .
11. Jean-François Lyotard, The Postmodern Situation, translated : Ahmed Ihsan, 1p, Dar Sharqiyat, Cairo, 1994.
12. James Jordan, A Short Introduction Jürgen Habermas, translated : Ahmed Muhammad Al-Rawabi, Hindawi, United Kingdom, 2015.
13. Group of Authors ,the Oxford Guide to Political Theories, translated: Bashir Muhammad Al-Khadra, 1p , Al-Marz Al-Arabi for Research and Policy Studies, Qatar, 2022.
14. Hajjaj Abu Jabr, Criticism of Secular Reason: A Comparative Study of the Thought of Zygmunt Baumann and Abdel Wahab El-Mesiri, 1p, Arab Center for Studies and Research, Qatar, 2017.
15. Hassan Mosaddegh, Jürgen Habermas and the Frankfurt School of Communicative Critical Theory, 1p , Arab Cultural Center, Morocco, 2005.

16. Khadija Zentli, Contemporary Political Philosophy: Issues and Problems, 1p , Difference Publications, Algeria, 2014.
17. Al-Zawawi Bagora, Introduction to the Philosophy of Michel Foucault, 1p, Dar Al-Tali'a, Beirut, 2013.
18. Zygmunt Baumann, Liquid Times: Living in the Age of Uncertainty, translated : Hajjaj Bou Jabr, 1p , Arab Network for Research and Publishing, Beirut, 2017.
19. Zygmunt Baumann, Liquid Love on the Fragility of Human Ties, translated : Hajjaj Abu Jabr, 1p , Arab Network for Research and Publishing, Beirut, 2016 .
20. Zygmunt Baumann, Liquid Modernity, translated : Hajjaj Abu Jabr, Arab Research Network, Beirut, 2016.
21. Zygmunt Baumann, Modernity and the Holocaust, translated : Hajjaj Abu Jabr, 1p , Orbits, Cairo, 2014 .
22. Zygmunt Baumann and others, The Power of Words: Dialogues and Ideas, translated : Latifa Al-Dulaimi, 1p , Dar Al-Mada, Dam, 2027.
23. Zygmunt Baumann and David Leon, Liquid Observation, translated: Hajjaj Abu Jabr, 1p , Arab Network for Research and Publishing, Beirut, 2017.
24. Zygmunt Baumann, Liquid Culture, translated : Hajjaj Abu Jabr, 1p, Arab Network for Research and Publishing, Beirut, 2018.
25. Zygmunt Baumann, Liquid Fear, translated: Hajjaj Abu Jabr, 1p, Arab Research Network, Beirut, 2017.
26. Zegmund Baumann, Liquid Life, translated : Hajjaj Abu Jabr, 1p, Arab Network for Research and Publishing, Beirut, 2016.
27. Stephen Eric Brunner, Critical Theory: A Very Short Introduction, translated : Sarah Adel, 1p, Hindawi, United Kingdom, 2017.
28. Al-Saeed Labib, Jean-François Lyotard and the Critique of Totalitarian Thought, 1p, Arab Center for Research and Policy Studies, Qatar, 2022.
29. Samah Najm Kazim, The New Western Marxism, 1p, Dar Qanadil, Baghdad, 2023.
30. Sayed Fares, Postmodern Anthropology: Contemporary Visions, 1p , Dar Rawafed, Cairo, 2016.
31. Sharif Toutao, Roger Garaudy and Arab-Islamic Thought, 1p , Al-Manhal, 2014.
32. Taha Abdel Rahman, The Spirit of Modernity: The Introduction to the Establishment of Islamic Modernity, 1p , Arab Cultural Center, Casablanca, 2006.
33. Abdel Ghaffar Makkawi, Critical Theory of the Frankfurt School,1p, Hindawi , UK, 2017.
34. Abdel Wahab El-Mesiri, Symposium on Modernity and Postmodernism, np, Arab Islamic Call Society, Tripoli, 1998.
35. Abdel Wahab Al-Messiri, Studies in Western Modernity, 1p, Al-Shorouk International Library, Cairo, 2006.
36. Abdel Wahab Al-Messiri, Secularism, Modernity and Globalization, 1p, Dar Al-Fikr, Syria, 2013.
37. Fathi Triki and Rashida Triki, The Philosophy of Modernity, np, National Development Center, Beirut, 1992.
38. Frederick Jameson, Cultures of Globalization, translated : Laila Al-Gebali, 1p, National Center for Translation, Cairo, 2004.

39. Christopher Butler, Modernity: A Very Short Introduction, translated : Shaima Taha Al-Ridi, n p, Hindawi , United Kingdom, 2016.
40. Kamal Boumonter, The Critical Theory of the Frankfurt School, 1p, Difference Publications , Algeria, 2010.
41. Max Horkheimer and Theodor F.Adorno, The Enlightenment Controversy: Philosophical Nuggets, translated : George Katoura, 1ج, Dar Al-Kitab Al-Jadid, Beirut, 2006.
42. Group of Authors, Islamists and Issues of State and Citizenship, Part 1, Arab Research Center, Qatar, 2016.
43. Group of Authors, Postmodernism: Studies in Social and Cultural Transformations in the West, translated : Harith Mohamed Hassan, 1p, Dar Ibn Nadim, Algeria, 2018.
44. Muhammad Al-Sunni, The Revolution and the Luster of Freedom, 1p, Dar Al-Adham, Egypt, 2017.
45. Mohammed Bakai, Postmodern Archipelagos: The Stakes of the Human Self, 1p, Dar Al-Rafidain, Lebanon, 2017.
46. Muhammad Taha Jawad and uasit Abd , Marginal Literature, 1p,Dar Al-Khaleej, 2020.
47. Mohamed Noureddine Afaya, Modernity and Communication in Contemporary Critical Philosophy, 2p, Dar Africa Al-Sharq, Morocco, 1998.
48. Mahmoud Amin Al-Alam, Marcuse or the Philosophy of the Dead End,1p,Dar Al-Adab, Beirut, 1972.
49. Mustafa Ben Tams, Paths of European Modernity and the End of Entrepreneurship, 1p, Believers Without Borders, Beirut, 2018.
50. Nashwan Hussein, The Legacy of Blood: The Ambiguous Relationship between the Executioner and the Victim, 1p , Now Publishers and Distributors, Dam, 2019.
51. Heba Sherif, My Religion and the Religion of the People: Religion, Secularism and Revolution, n p, Al-Arabi for Publishing and Distribution, Cairo, 2017.
52. Herbert Marcuse, The One-Dimensional Man, translated : George Tarabishi, 3p, Dar Al-Adab, Beirut, 1988.
53. Wael B. Hallaq, The Impossible State, translated : Amr Othman, 1p, Arab Center for Research and Policy Studies, Qatar, 2014.
54. Azmi Bishara, Religion and Secularism in a Historical Context, Part 2, Volume 1, 1p , Arab Center for Research and Policy Studies, Qatar, 2015.
55. Jürgen Habermas, The Philosophical Saying of Modernity, translated : Fatima Al-Geyoushi, Publications of the Ministry of Culture, Damascus, 1995 .

Second: Magazines and Periodicals

1. Raja Taha Mohamed, A Critical View of Zygmunt Baumann's Fluidity, Journal of the Faculty of Social Work for Studies and Research, Issue 29, 2021.
2. Abdul Ghani Bok Sekk, Transformations of Modernity and Liquid Phenomena in the Philosophy of Zygmunt Baumann, Journal of Studies, Issue 1, 2022.
3. Ali Abboud Al-Muhammadawi, The Contemporary Human Situation between Openness and Liquidity, Larak Magazine, Issue 33, 2019.
4. Mona Mohamed Ahmed El-Sayed, Postmodern Sociology: "Zygmunt Baumann as a Model", Journal of Scientific Research in Arts (Social Sciences and Humanities), Issue 21, 2020.

Third: the Theses and PhD theses

1. Samah Najm Kazim, Structuralism and Poststructuralism in Contemporary French Political Thought, PhD thesis submitted to the College of Political Science, University of Baghdad, 2020 .